ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

القطيف: اللجان الأهلية خيار وحيد... ومتوافر

خليل كوثراني

نجحت اللجان الأهلية في مدينة الدمام شرق السعودية في إحباط الهجوم الانتحاري لتنظيم "داعش"، الذي استهدف مسجد الإمام الحسين (ع) الواقع في حي العنود، ذي الغالبية الشيعية. ثلاثة شبان من اللجان افتدوا بأنفسهم مئات المصلين الذين كانوا يستمعون إلى خطبة الجمعة داخل المسجد.

بدأت الإجراءات، منذ مساء الخميس، حين طلب من النساء عدم الحضور إلى المسجد الذي يتسع لخمسة آلاف مصلٍّ، ليسجّل إنجازا نوعيا للجان الأهلية.. إنجاز حاولت وزارة الداخلية السعودية سرقته ببيان، ادعت فيه أنها هي التي كشفت سيارة الانتحاري، إلا أن المعلومات أكدت أن إحباط العملية كان بالكامل لهذه اللجان، المصرّة على مواصلة عملها كخيار وحيد لحماية أهالي المنطقة، كما هي الحال في القطيف المجاورة.

حواجز خراسانية تحيط بالمساجد والحسينيات، سلاسل معدنية وحواجز من الأسمنت والحديد، العيون مفتحة، شباب الأحياء يراقبون السيارات والمارّة، اليقظة والحذر يخيّمان على الأهالي، حراسات ليلية يتناوب عليها رجال المحلة، الغرباء والسيارات المركونة بصورة مريبة، كلها موضع شك وشبهة حتى يثبت العكس.. هنا ليست "الضاحية الجنوبية لبيروت"، إنها منطقة القطيف، شرق الجزيرة العربية، بمدينتها وبلداتها، بعد التفجير الدامي الذي طاول مسجد الإمام علي بن أبي طالب (ع) في بلدة القديح يوم الجمعة الماضي.

يعود أحد أبناء منطقة القطيف، وهو ناشط سياسي، بالذاكرة إلى عام ٢٠٠٥، فـ"تجربة اللجان الأهلية تعود إلى ذلك التاريخ"، بحسب ما يؤكد مستحضراً أجواء الشحن المذهبي والأعمال الطائفية المتصاعدة في العراق، حين كان تنظيم "داعش" لا يزال في رحم "القاعدة"، منفذاً أعتى عملياته الانتحارية وهجماته الإرهابية على المسلمين الشيعة هناك.

كانت التفجيرات قد بلغت ذروتها، أيام إحياء مراسم "عاشوراء"، ترافقها تهديدات ضد "الرافضة" في كل مكان.. في ذلك العام، أطلقت السلطات السعودية حملة "التضامن الوطني ضد الإرهاب"، وكان أبناء منطقة القطيف الذين استشعروا الخطر

ورأوا في أنفسهم المستهدف الأول من موجة الإرهاب التكفيري، جزءاً من هذه الحملة. انطلقت مبادرات أهلية، ونشط بعض الشبان في مجموعات غير مترابطة، عاملين على تأمين حراسة المساجد والحسينيات، وذلك بالتعاون مع الدولة والسلطات الرسمية.

في ذكرى "عاشوراء" من عام ٢٠٠٥، كان عمل هذه اللجان فاعلاً، حيث اتخذت هذه المجموعات إجراءات احترازية في القطيف وساحة "القلعة" وسط المدينة، أسهمت في تأمين المواكب والمسيرات التي تخرج لإحياء هذه الشعائر، رافعة للمرة الأولى شعار "كلا كلا للإرهاب".. لم تمر تلك الأيام بهدوء تام، فقد سجلت حادثة اختطاف أحد رجال الدين من أبناء المنطقة وهو شيخ ضرير يدعى إبراهيم الغراش، قبل أن يعثَر عليه مرمياً في الصحراء، ووجهت أصابع الاتهام حينها إلى مجموعة وهّابية متشددة.

لم تنقطع تجربة اللجان الأهلية في منطقة القطيف، بعد عام ٢٠٠٥، فالمجموعات التي تتركز أعمار المتطوعين فيها بالفئات العمرية الشابة، لا تغيب عن المناسبات العامة. وإضافة إلى الفعاليات الدينية التي تقام في المساجد والحسينيات، يسهم هؤلاء في تنظيم المهرجانات الشعبية، بما فيها تلك التي تقام برعاية السلطة الرسمية، كمهرجاني "الدوخلة" و"واحتنا فرحانة" الذين يقامان في عيد الأضحى من كل عام. وقد اكتسب عدد كبير من هؤلاء المتطوعين خبرة تنظيم الحشود الشعبية، من خلال مرافقة أهالي القطيف في حملات الحج والعمرة، وهي الحملات الأكثر تنظيماً في البلاد. كذلك يشترك شبان اللجان في أنشطة مدنية كحملات تنظيف الشوارع وغيرها من الأعمال التطوعية.

بعد الهجوم الانتحاري على مسجد القديح، مثل تشييع ٢١ شهيداً ممن قضوا في التفجير التحدي الأبرز أمام أهالي القطيف.. المشاعر كانت تختلط بين ضرورة خروج الحشود الشعبية، يوم الاثنين، رغم التهديدات الأمنية كرد على الاعتداء الدامي، وبين غضب انتاب أهل القطيف من السلطات الرسمية، على اعتبار أنها شريكة في الجرم عبر منابر التحريض الطائفي والخطاب التكفيري المنفلت، الذي لم تقم الحكومة السعودية بضبطه يوماً، وما وضعت له رادعاً. غضب جعل القطيفيين يقبلون التحدي، وينظمون مسيرة وداع الشهداء، من دون مؤازرة قوات الأمن التي انكفأت إلى حدود القطيف. أعداد المشاركين في المسيرة لم تعرف سابقة لها على الإطلاق، فوفق أرقام جريدة "الرياض" التابعة للنظام السعودي، خرج في تشييع الشهداء الاثنين الماضي "نصف مليون". مئات الآلاف امتدوا من مدينة القطيف على طول الشارع المؤدي إلى بلدة القديح، في مشهد سجل نجاحاً منقطع النظير لتجربة اللجان الأهلية، التي تولت الجانبين الأمني والتنظيمي في مسيرة التشييع.

بموازاة ذلك، لم يخل مشهد التشييع من الرسائل السياسية الواضحة، فغياب العلم الرسمي الذي يتوسطه سيف آل سعود كان أبرز هذه الرسائل من أبناء منطقة عانت ولا تزال من سياسات التهميش والتمييز، وذلك على عكس ما جرى يوم تشييع شهداء اعتداء الدالوة في الأحساء، حين لفّت نعوش الضحايا بالعلم السعودي وتولت قوات الأمن تنظيم المناسبة.. كذلك شهدت مسيرة الاثنين تصويباً واضحاً على دعاة الخطاب التكفيري، ونظم لاحقاً معرض قرب خيم العزاء في بلدة االقديح، يوثق تغريدات المحرضين وتصريحاتهم.

في الجانب الأمني، يؤكد الناشط السياسي القطيفي لـ"الأخبار" أن ما تقوم به اللجان الأهلية في منطقة القطيف لن يتوقف، وهو بات اليوم ضرورة ملحة يتطلبها الظرف الخطير، فالاستهداف المستمر منذ جريمة الدالوة والدولة عاجزة عن حماية شعبها. هو شدد على أن هذه اللجان، التي دعا إلى تفعيلها الشيخ عبد الكريم الحبيل، أحد رجال الدين البارزين في منطقة القطيف ـ ولاقت دعوته تأييداً شعبياً واسعاً ـ هي لجان من أبناء المنطقة ولا تنتمي إلى تشكيلات سياسية، وهي لا تقدم نفسها بديلاً عن السلطات الرسمية ولا تحمل سلاحاً، مستدلاً على ذلك بالقبض على أحد المشتبه فيهم قرب خيم العزاء في القديح وقد سلم مباشرة للسلطات.

مطالب القطيفيين اليوم هي استعادة تجربة ٢٠٠٥، إلى جانب المطلب الأبرز المتمثل بسنّ قوانين تجرّم التحريض الطائفي، والعمل الجاد على إسكات أبواق الفتنة ومحاسبتهم، ففي مكان ما يمكن أن تشكل هذه الأحداث فرصة لهذا النظام لتغيير سياساته. أما ما يحاول إعلام النظام السعودي تسويقه، من خلال المشادة الكلامية بين ولي العهد وأحد أسر الضحايا، التي يتوعّد فيها محمد بن نايف بمحاسبة كل من يأخذ دور الدولة، فتعتبر، بحسب المصدر ذاته، محاولات غير مبررة لا تفسر سوى أنها "عبارة عن عنتريات لتبريد الرؤوس الحامية داخل نظام آل سعود.

"الثورة" السورية و"الخونة"

ربيع بركات

ثمة تعريف لـ "الثورة" يتفق عليه معظم روّاد البحث الأكاديمي في مجالي العلوم السياسية والاجتماعية. فـ "الثورة"، بتعريفها

الكلاسيكي والأعم، هي مسارٌ مكثف ينتج تغييراً عميقاً في بنى المجتمع ومؤسسات الدولة، كما في المنظومة القيمية الحاكمة أو المهيمنة.

ويعتبر كثير من الباحثين أن الثورة تعرَّف بنتائجها، لا بخصائص مسارها. فترى تيدا سكوبكول، مثلاً، وهي صاحبة الإصدارات العديدة في هذا المجال، أن "الثورة" توصف بأنها كذلك إذا ما تمكنت من إحداث الانقلاب الذي تبغيه. و "الثورة"، بحسب سكوبكول، تحتاج لنجاحها إلى تضافر جملة من العوامل، بينها إنهاك مؤسسة الجيش بتدخل أو ضغط خارجي. علماً أنها أقرت لاحقاً أن النموذج الذي قدّمته لشرح أسباب ومسار ونتائج ثورات سابقة، في كتابها المرجعي States and Social Revolutions.

لا ينطبق على "الثورة الإيرانية" التي اندلعت بعد صدور كتابها بأشهر، حيث أن أي تدخل خارجي لم يحصل لإنهاك جيش الشاه قبل إسقاطه. وهو أمرٌ شدد عليه الباحث البريطاني الراحل فريد هاليدي، الذي تابع أحداث إيران عن كثب وقام بتظهير جملة من خصائص "الثورة" هناك ودراستها (التحرك السلمي، الطابع المديني، القول بـ "الشرعية الثورية"، دور الدين، بروز شخصية "القائد").

على أن تعريف "الثورة وفق قاموس الباحثين المذكورين أعلاه، كما وفق معظم الباحثين البارزين، لم يقم على أساس معيار "قيَمي". فـ "الثورة" إسقاطٌ للنظام السائدً تعريفاً، وهي إنتاجٌ لبنىً حاكمة ومنطومة قيمية بديلة. أما في ما خص تقييمها، لناحية الأساليب والأهداف والنتائج، فتلك مسألة أخرى.

وهذا ما يدفعا إلى القول إن ما يستدعي الدعمَ من "الثورات"، في المبدأ، ليس ذاك الذي يقضي على نظام، بل ما يمهّد للانتقال إلى ما هو أفضل منه. وغير صحيح أن سيرورة الثورات الهادفة إلى قلب نظام ظالم، ولّادةٌ حكماً لما يفوقه عدلاً. فأمثلة التاريخ كفيلة بإثبات خلاف ذلك.

قد يفيد المدخل هذا كمقدّمة للحديث عن الوضع السوري. وقد يعين القول كذلك، قبل الحديث عن "الثورة" على ضوء آخر مستجداتها، التأكيد أن "النظام" بما كان عليه قبل اندلاع الحراك السلمي في الأشهر الأولى للعام ٢٠١١، غير قابل للاستمرار على نحوه السابق، وأن تغييره لا تتطلبه دواعٍ أخلاقية فحسب، بل ضروراتٌ عملية للمتمسكين بالدولة السورية أو ما تبقى منها أيضاً.

بعد ذلك، يمكن الحديث عن خيار دعم "الثورة السورية" بشكلها الراهن. ولئن كان الكلام هنا لا يخص اليوم فقط، إلا أن الأحداث الراهنة تبيّنه بشكل أكثر تكثيفاً ومعنى. إذ لا يسع المرء، مثلاً، إلا أن يلحظ المنتشين بأخبار الانتحاريين الآتين من شتى بقاع الأرض إلى بلاد الشام مؤخراً لـ "تحرير" إدلب وجسر الشغور وغيرهما. ولا يمكن تخيل أسباب لذلك سوى أن المتفائلَ بـ "الفتح" المبين، إما أنه يرتاح لوجود هؤلاء، أو أنه يغض الطرف عن أشرطتهم الدعائية ليَسهل عليه تقديم سردية متماسكة ويرتاحَ من عبء إعادة النظر، أو أنهَ يعيش في فقاعة الحراك التي ما زال الإعلام الفضائي الطاغي يسوّق لها، أو أنه يعوّل على الدول العربية في الخليج الفارسي لضبط قطعان "الجهاديين" متى اشتدّ خطرهم على كل من يختلف معهم في المنهج، أو أنه، ببساطة، قادرٌ على تأمين نفسه وحجز بطاقة السفر، إن صحت توقعاته وتمكن "ثواره" من تحطيم ما تبقى من هيكل الدولة السورية.. قبل أن تتجه أنظارهم إلى جوارها.

ويبدو أن إرهاق الجيش السوري وحلفائه سيدفعهم إلى الانكفاء المؤقت، طالما أن خوض المعارك على أكثر من جبهة ومع غير طرف يعني مزيداً من الاستنزاف من دون أفق. على أن الانكفاء هذا، وهو الذي سيخلي مناطق تضعف فيها البيئة الحاضنة للجيش، ليس خبراً جيداً بالضرورة لخصوم دمشق الإقليميين. فأن تنفتح حدود "الدولة الإسلامية" على أرض الحرمين يغري بانفلاشها في اتجاه ما تعتبره مدىً حيوياً طبيعياً لها. وهذا أمرٌ لا ينسحب على سوريا فقط، بل على العراق واليمن أيضاً.

و"داعش" والجماعات "الجهادية" ذات الولاء القاعدي، والتي تعيش على التناقضات، تمنّي النفس بأن تحظى بفرصة التمدّد. فإن حالَ الجيش السوري النظامي دون ذلك، أرهقه هؤلاء بانغماسييهم الذين يتسللون عبر الحدود التركية، وبرعاية أجهزة أنقرة كما بدأت تثبت وثائق رسمية مسرّبة ودعاوى قضائية علنية، وبتهليل مريع من فضائيات خليجية تنتقل بتغطيتها للحدث السوري من حضيض إلى آخر. أما إن اجتهد خصوم النظام السوري في التضييق على هذه الجماعات لتحجيمها، رفعَت من منسوب تركيزها على مركزية أرض الحرمين، وسارت خطوات في اتجاه التجنيد وتأسيس الخلايا النائمة، كما حال "داعش"، الذي يضرب "الروافض" في المملكة السعودية ويؤسس لزعزعة نظامها في الوقت عينه.

وتنظيم "الدولة الإسلامية" وأشباهه وحوشٌ متعددة الاستعمالات. هي مطيّة للجميع وقابليتها للتوظيف هائلة: تخيف "الأقليات" وحلفاءهم من "السنّة المانعين" وخلافهم، وتقلق، بالقدر نفسه، التيارات الإسلامية "السنية" الأخرى وحلفاءها "الليبراليين"، من احتمال أن يشتد عودها وتلتهمهم جميعاً.

إن أدوات "الثورة" هذه، و "داعش" و "النصرة" ليسا سوى وجهيها الأردأ، لا الوحيدين، لا يمكن أن تنتج التغيير الذي بشرت به مجاميع السلميين في أيام الحراك الأولى. وهذه الأدوات هي الفاعلة على الأرض السورية اليوم، وقد أصبحت كذلك منذ نحو ثلاثة أعوام.

والحال أن المرء يحار في وصف من لا يزال يعوّل على المجاميع تلك لإنتاج "التغيير"، خصوصاً ذاك الذي يدعم الظواهر تلك من خلف الحدود. إن كان الدافع حقده على النظام، فله من الأسباب الوجيهة الكثير. لكن الحاجة لوضع النقاط على الحروف ملحّة منذ سنتين وأكثر، وهي ما فتئت تزداد إلحاحاً: هذه لعبة انتقام قتلت، حتى اليوم، عدداً تتقاسم المسؤولية عنه أجهزة النظام والقوى الإسلامية المقاتلة، وفق أرقام "مرصد" المعارض الشهير نفسها. ومن تعجبه لعبة الانتقام هذه، أو أنه يستفيد منها، فهو لشعارات "الثورة" التي يتغنى بها.. مجرد "خائن"، على أقل تقدير.

الفشل السنّي؛ السلبي والإيجابي

ناهض حتر

بين التجييش المذهبي الكثيف للعصبيّة السنيّة، والقوى الفعلية التي يحفزها هذا التجييش، مفارقة تاريخية؛ فطائفة الأغلبية العربية، عاجزة عن الفعل السياسي إلا عبر تنظيمات تكفيرية إرهابية، كجبهة النصرة وداعش والقطبيين من الإخونج؛ لا أحزاب أو حركات متجذرة، اجتماعيا وتاريخيا، ذات رؤية عقلانية وبرامج واقعية، ولا زعامات وازنة قادرة على طرح بدائل تصالحية وسلمية للحروب الأهلية في بلادنا المنهكة.

من أين نبدأ؟ من لبنان "الديموقراطي"؟ نظرة واحدة على أدبيّات تيار المستقبل، وأدائه، لتدرك أنه عاجز، تكوينياً، عن ممارسة السياسة إلا كأداة سعودية، أما زعيمه؛ فحدّث ولا حرج! وماذا عن منابره وكتابه ومثقفيه؟ نحن أمام جوقة معطلة الإحساس بالمسؤولية الوطنية، حتى لا نقول التاريخية! التراجيدي في هذا المشهد، التداخل الحاصل بين المستقبليين والتكفيريين الإرهابيين؛ يعرف الأوائل أن الأخيرين سوف يأكلونهم إذا تمكنوا؛ ضمانة بقاء المستقبل، لبنانياً، هي بقاء حزب الله وانتصاره، أي الحزب نفسه الذي يسعى "المستقبل" لتقويض قوته. نحن نعيش في السنة الخامسة من الحرب التدميرية في سوريا. ومنذ وقت طويل، خرجت المعارضات النخبوية من الميدان؛ في البدايات، بل حتى وقت قريب، استقوت تلك المعارضات بالمسلحين والإرهابيين، ثم لم يعد لها حضور ولا قيمة؛ كان بإمكانها أن تسهّل الحل وتحصل على مكاسب في عامي ٢٠١١ و٢٠١٢، إنما أخذتها العزّة بالإثم؛ لم تستطع أن تقدّم خطابا مطابقا لاحتياجات المجتمع السوري في واقعه الملموس، وفشلت في أن تقترح على السوريين، زعيما وطنيا ذا وزن وعقلانية وجماهيرية. الآن، وقد انفضحت الصورة عن تمرّد ليس له من مضمون سوى المضمون الطائفي، لم يعد في الميدان سوى "داعش" و"جبهة النصرة". ومن الواضح أن العواصم المعادية لسوريا، فقدت الأمل بالمثقفين والديموقراطيين الخ، فبدأت تقدّم إرهابيي "النصرة" كمعارضة معتدلة، وتحوّل الإرهابي أبو محمد الجولاني، إلى نجم تلفزيوني على فضائية الجزيرة، والبند المعتدل الوحيد على برنامجه، هو طمأنة "الأقليات"!

وضع العراق يختلف قليلا، من حيث الكمّ لا من حيث النوع؛ هناك زعامات، ولكن ليس هنالك زعيم قادر على اجتراح اجماع سني على حل وطني، بل ثمة العديد من الزعماء الذين لا يفهمون أن مصلحة السنّة البديهية تكمن في الوطنية العراقية والاستقلال العراقي، بخلاف ذلك يتحوّل السنّة إلى أقلية مهمّشة في "ديموقراطية" كميّة، تسقط الأهمية الدولتية للنخب التكنوقراطية؛ هذه، على كل حال، هجرت أو تم تهجيرها من البلاد، بينما بقيت جماهير ضائعة ميّالة إلى التمرّد على سلطات محتكرة من قبل قوى شيعية، فشلت، حتى الآن، في أن تكون دولة وطنية لكل العراقيين.

وفي مصر.. أم الدنيا؛ ألا نرى أن الإخونج والسلفيين لم يعودوا ينفصلون عن " القاعدة" والتنظيمات الإرهابية الشقيقة؟ منذ أن كانوا في الحكم، وبعدما خسروه، لم يتمكن الإخونج من تقديم أنفسهم كقوة مهيمنة قادرة على إدارة الدولة المصرية، والتفاعل الوطني مع أزمات الاقتصاد والمجتمع؛ ظهروا كعصابة بلا رؤية تنموية ولا مشروع مصري - عربي، سوى الكلام على "المشروع السني" والتحريض على الجهاد في سوريا، بينما تبنوا سياسات السادات في العلاقة مع إسرائيل، وسياسات مبارك في العلاقة مع رجال الأعمال؛ أما الرئيس الزعيم الذي اقترحوه على مصر والعرب، فرجل بدائي لا يستحم وينتصب لمرأى ضيفة رسمية ويأكل الكوارع في القصر الجمهوري!

الحركة الوطنية المصرية، قدمت بديلا معقولا، يتمثل في التيار الشعبي وزعيمه حمدين صباحي؛ إلا أنهما سرعان ما تبخرا، بعدما تولى الجيش السلطة. ولم تمض سوى شهور، حتى تبين أن الزعيم الجديد المؤله، الرئيس عبدالفتاح السيسي، ليس أكثر من مدير عام للدولة المصرية، ليس، عنده، بديل تنموي عن المساعدات الخليجية، وهذا يكفي لكي تظل السياسة الخارجية المصرية في قفص؛ صحيح أنها تناور، ولكنها لا تزال عاجزة عن الاستقلالية. وعلى وجه التحديد، عاجزة عن تقديم زعامة عربية سنية تحيّد ملوك السعودية وشيوخ الخليج.

وفي فلسطين، موطن القضية العربية الكبرى، ماذا نجد سوى متعاونين مع الاحتلال في الضفة الغربية، وحمساويين متداخلين مع جبهة النصرة وارهابيي سيناء، في غزة؟ وفي الأردن، حيث كان الحراك الشعبي يبشر بولادة زعامات ذات وزن من قلب البيروقراطية الوطنية، انتهى المشهد الأردني إلى عودة الملك عبدالله الثاني إلى احتكار القرار، واستعادة سياسي أعدمه الحراك الشعبي إلى الواجهة، بفضل علاقاته مع تل أبيب والرياض.

هذه اللوحة المفزعة التي يتحوّل فيها الملك سلمان وأبو بكر البغدادي وأبو محمد الجولاني إلى قادة الأغلبية العربية من السنّة، لها وجهان، أحدهما سلبي يتمثل في تعقيد التوصل إلى حلول سياسية للحروب الأهلية العربية، ولكن لها، أيضا، الوجه الثاني الإيجابي؛ لا يستطيع السنّة أن يكونوا طائفة، حتى حين يريدون، ويتوهّمون؛ فلا حضور لهم، ولا مكان، ولا دور، إلا في سياق قومي تحرري، هو، وحده، القادر على إخراج الشعوب العربية من أزمتها الوجودية التي تنزف دما ودموعا وجوعا.

مقتطفات من مقال عن الفرس والصفويين والمجوس

كاتب سوداني

(١) منذ عقود، والخطاب السياسي العربي يشهد انحطاطاً متزايداً على وقع الدعاية الشعبوية لأنظمة وجماعات سياسية بدأت برفع شعارات التحرر وكرامة الشعوب والنهضة، قبل أن تنتكس أسفل سافلين. فقد دفعت الانهيارات المتلاحقة، والذعر الذي ضرب الأنظمة البعض إلى تبني خطاب غلبت عليه الشوفينية، إن لم نقل العنصرية، وساده التنابز بالألقاب، والترامي بالكبائر من خيانة وعمالة، وما إليها.

(٢) عم البلاء اليوم حتى أصبحت بعض الجهات "الإسلامية"لا تتورع عن مثل هذا الخطاب "الجاهلي"(وهو تعبير نبوي في إدانة التنابز العنصري بالألقاب حين قال لمن تورط فيه: "إنك امرؤ فيك جاهلية". (

فقد دأبت الدعايات العربية الهابطة في أيام الحرب العراقية-الإيرانية إلى وصف الإيرانيين بأنهم "الفرس"بقصد الذم، كأن انتساب فئة إلى عرق أو هوية ثقافية هو جريمة. بل ذهب البعض إلى وصف الإيرانيين بـ"المجوس"، في خطاب تكفيري تحقيري كله كذب.

(٣) لا يعيب شخصاً أن يكون فارسياً أو ديلمياً أو حتى مغولياً، حتى لو لم يكن مسلماً، فليس النسب بسبة. والفرس مع ذلك أهل حضارة وثقافة، قبل الإسلام وبعده. وقد كتبت بعض أروع منتجات العصر الإسلامي الثقافية باللغة الفارسية، من الشاهنامة ورباعيات الخيام، إلى حكم جلال الدين الرومي ثم أشعار محمد إقبال. وقديماً ذكرنا ابن خلدون بأن غالب حملة العلم الديني في الإسلام كانوا من العجم، ومن الفرس تحديداً. فمنهم الغزالي وأبوحنيفة والبخاري وكثيرون غيرهم. ولكن حتى لو لم يكن لأي جهة غير عربية علم أو ثقافة أو بلاء في أي مجال، فليس من الدين أو الخلق تعييرهم بأصلهم. فقد حكم الله من فوق سبع سموات بأن الأكرم عنده هو الأتقى.

وبما أن التقوى هي في علم الله وحده جل وعلا، فإن التفاضل يكون بظاهر العمل الصالح ونفع الخلق، أو في أضعف الإيمان، كف أذى النفس عنهم.

(٤) من أبشع ما يرتكب في هذا المجال رمي الإيرانيين بأنهم "مجوس"، وهي فرية كبيرة في حق المؤمنين بالله ورسوله، لأن نظير ذلك وصف العرب بأنهم مشركون من عباد اللات والعزى. فكما أن المجوسية كانت دين الفرس قبل الإسلام، كذلك كان الشرك دين العرب. وبالمثل يمكن وصف أهل الشام وشمال افريقيا بأنهم نصارى ويهود، وكله إثم عظيم. ويكون الأدهى حينما تصدر مثل هذه الاتهامات من قوم لا يلقون بالاً إلى الدين أصلاً، والكافر الملحد أحب إلى نفوسهم، وأرضى عندهم من القانت المتعبد.

(٥) للأسف ساهمت الثقافة العربية الموروثة. خاصة في العهد الأموي وشطرمن العباسي- في نشر هذه النزعات الشوفينية المناقضة لروح الإسلام والتمكين لها في الوجدان الشعبي. فقد تفاخر الشعراء بالقبلية، وأحيوا نعرات الجاهلية، وشجعهم على ذلك حكام ظلمة، ونخب نسيت تحذيرات الرسول الكريم من مغبة مثل هذه الانحرافات والضلالات. وقد أحيا البعض اليوم هذه النعرات في إطار إحياء الجاهلية ومنكراتها تحت ستار إحياء العروبة، بدلاً من إحياء قيم الإسلام الصحيحة التي تنكر مثل هذا التنابز بالألقاب، والتعظم الكاذب بالآباء والأنساب.

(٦) يحق لمن شاء أن ينتقد أو يذم الميليشيات الطائفية التي تمارس القتل والإجرام والترويع، وكلاهما يستحق الكثير من النقد والذم بما كسبت أيديهما. ولكن لا يبرر هذا التهجم الظالم على كل الإيرانيين أو كل الشيعة، وإلا لوقعنا فيما وقع فيه بعض من يرمي كل المسلمين بالإرهاب بحجة أن كثيراً ممن يرتكب جرائم الإرهاب هم ممن يدعون اتباع ملة الإسلام، ويقولون عن كبائرهم: "الله أمرنا بها".

(٧) بالقطع ليس هناك ما يبرر تعيير فئة بهويتها العرقية، أو ثقافتها أو بلدها ونسبها. فضلاً عن تكفير المسلمين وصفهم بالشرك والمجوسية. ومثل هذه التجاوزات تسيء لمن يقترفها، ولا تضر من وجهت إليه شيئاً. ويدخل في ذلك وصف شيعة العراق. أو بعض قياداتهم. بأنهم "صفويون"، وهي مذمة مزدوجة. فهي من جهة، تستعير مسبة علي شريعتي للتشيع الإيراني التقليدي بأنه "تشيع صفوي"، كناية عن كونه محرفاً. ومن جهة ثانية تجرد العراقيين من مواطنتهم وتنسبهم إلى إيران، مقام الصفويين

(٨) يجب أن يتركز النقد لسياسة معينة على أخطاء وخطايا تلك السياسات، لا على هوية من نفذها، فتكون المفاضلة بين من يريد أن يحيي ويعمر وينفع الناس، وبين من لا هم له إلا التدمير والقمع والتنكيل. وفي هذا المقام، يستوي حفتر والسيسي ومن ناصرهما، وهم يزعمون أنهم من السنة (ونحن أول من نبرأ إلى الله منهم).

(٩) التنابز بالألقاب هو كذلك خطر على من يجترحونه، فهو كذب بواح أولاً، وانحطاط أخلاقي وديني، ومبرر للعنف والقطيعة. فليطهر الناس ألسنتهم من الفحشاء كما يجب أن يطهروا أيديهم من دماء المؤمنين. فإن من قتل مؤمناً متعمداً فإن جزاءه جهنم خالداً فيها، وإن كان من آل البيت، أو كان من نسل الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.